المقدمة العامة :

المدينة هي خلاصة تاريخ الحياة الحضرية فلم تأتي بمحض الصدفة، إنما كان لظهورها ارتباط وثيق بجملة من الظواهر و العلاقات التي جعلت منها مسرحا لحقب تاريخية متتالية، تاركة خلفها بصمات عمرانية بأشكال متنوعة، فالمدينة أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب و تطور الأمم، فقد عهدت على مر الزمن تطورا و توسعا جراء الانفجار الديموغرافي الذي شهده العالم بأسره، بسبب استخدام الصناعة نتيجة للتقدم العلمي و تكنولوجي .

و المدينة الجزائرية كغيرها من المدن بالعالم لها تاريخ تشهده آثار الحضارات التي تعاقبت عليها على مر الزمن، مخلفة وراءها بصمات حية تحمل الخصائص العمرانية و الحضرية، سواء في العصر الروماني الذي لا تزال آثاره قائمة إلى حد الساعة، أو في فترة الفتوحات الإسلامية التي خلفت هندسة عمرانية راقية، وحتى الفرنسيين رغم فكرهم الاستعماري الإستدماري إلا أنهم ساهموا في وضع مخططات لبعض المدن التي لا تزال هياكلها قائمة، و مواكبة لما يعيشه العالم من ظروف و تطورات و خاصة بعد فترة الاستعمار، شهدت المدن الجزائرية توسعات عمرانية، نتيجة للنمو الديموغرافي و الهجرة السكانية التي أثرت على مختلف المستويات المجالية، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو عمرانية، خاصة مع غياب سياسة عمرانية واضحة، مما انعكس سلبا على واقع المدن، فتجلى تأثيرها بالإفراط في استهلاك المجال تلبية للاحتياجات السكانية المتزايدة، وفي ظل هذا الوضع المتأزم تم استغلال جميع الجيوب و الفراغات داخل المدينة لانجاز أحياء سكنية و خلق مؤسسات خدماتية، ومنها أضحت المدن الجزائرية هدفا رئيسيا لتلك النتائج .

و من بين هذه المدن نجد مدينة بسكرة كإحدى أهم المدن الجزائرية التي تتمتع بموقع جغرافي هام باعتبارها بوابة الصحراء، إضافة إلى استفادتها من الخصائص الطبيعية لموقعها فهي عبارة عن مزيج بين الصحراء و الهضاب، العامل الذي جعل منها مركز استقطاب للعديد من الحضارات التي تعاقبت على الجزائر حيث كانت البداية بتشكيل نواة إسلامية ذات أنماط عمرانية مميزة، عرفت بالطابع التقليدي المتحفظ الذي ترجم بمباني متجمعة حول الواحات تتخللها أزقة ضيقة و متعرجة، ثم جاء الاحتلال الفرنسي ليترك خلفه نواة موازية للنواة الإسلامية، عرفت بالنواة الأوربية و التي كان لها طابعها الخاص في تصميم مبانيها و تخطيط شوارعها و هندستها المعمارية، ثم أصبحت فيما بعد تشكل مركزا للمدينة انطلقت منه

في نموها و توسعها، إلى أن تشكلت مدينة بسكرة، و مع تفاقم عملية التوسع عرفت المدينة أوضاعا عمرانية متأزمة أثرت في صيرورة التنمية العمرانية، كانت أسبابها أزمة السكن و تفاقم ظاهرة الهجرة من المناطق الريفية الفقيرة نحو المناطق الحضرية بحثا عن أحسن الظروف للعيش و العمل، إضافة إلى النمو الديموغرافي الذي ساعد على تعقيد و تشابك الظاهرة ، و جملة هذه العوامل ساهمت في خلق أحياء معمرة بصورة فوضوية مخالفة لما نص عليه التشريع الجزائري فيما يخص البناء و التعمير .

الإشكالية :

يعاني العالم بصفة عامة و العالم الثالث بصفة خاصة من انتشار ظاهرة الأحياء الفوضوية التي حلت بالمدن دون سابق إنذار، فهي عبارة عن طفيليات كانت نتيجة للممارسات الاجتماعية و العمرانية غير المدروسة، و المخالفة لما جاءت به مخططات التعمير و البناء التي نص عليها التشريع العمراني، و من أبرز العوامل التي ساهمت في تشكيلها، تسارع وتيرة التحضر و ارتفاع نسبة الهجرة الريفية نحو المدن، و بالتالي عجز هذه الأخيرة عن مواكبة هذه التحولات أمام تفاقم الظاهرة و ما تخلفه من آثار سواء على المحيط الحضري، أو المجتمع المدني، أو الإطار الشريعي .

تعاني مدينة بسكرة كواحدة من أهم المدن الجزائرية كغيرها من المدن بالعالم، انتشار الأحياء الفوضوية نتيجة لما تشهده من زيادة مستمرة في معدلات النمو الحضري بسبب التحولات الاجتماعية و الاقتصادية التي تمر بها، خاصة بعد انتهاج الجزائر لسياسة التصنيع كهدف للتنمية الشاملة، التي خلفت آثارا مست الجانب العمراني خاصة، ما دفعنا إلى التوقف عند هذه الإشكالية و محاولة شرح وضعيتها و حيثياتها .

من خلال هذه الدراسة سنحاول تحليل واقع و وزن الأحياء الفوضوية ضمن النسيج العمراني لمدينة بسكرة و حال بيئتها العمرانية من خلال الإجابة على التساؤلات التالية :

- ما هو واقع الأحياء الفوضوية ضمن النسيج العمراني لمدينة بسكرة و ما وزنها ضمن حظيرتها السكنية و محيطها العمراني؟
- ما هي سمات بيئتها العمرانية و المعمارية و انعكاسات ذلك على البيئة العمرانية و الوظيفية للمدينة ككل؟

- كيف يمكن التدخل على هذا النمط العمراني للرفع من كفاءته العمرانية و الوظيفية و البصرية و منه التقليل من انعكاساتها السلبية؟

الفرضيات:

- الأحياء الفوضوية بمدينة بسكرة حجزت لنفسها مكانة ضمن النسيج العمراني القائم، ما جعلها تنافس أو تطغى على الأنماط العمرانية المخططة .
- الأحياء الفوضوية بمدينة بسكرة تعاني عدة إختلالات على المستوى العمراني و البيئي و البصري .
- الأحياء الفوضوية بمدينة بسكرة بحاجة إلى إعادة هيكلة للرقي بيئتها العمرانية .

أسباب اختيار الموضوع :

من أبرز الأسباب التي جعلتنا نسلط الضوء على ظاهرة الأحياء الفوضوية و نختصها بالدراسة:

- كون الظاهرة تندرج ضمن المواضيع التي يهتم بها تخصص العمران وتسيير المدن .
- اكتساح المشكلة لمعظم مدن العالم عامة و المدينة الجزائرية خاصة بما فيها مدينة بسكرة المعنية بالدراسة.
- التقصير و عدم منح الموضوع الوزن اللائق بالدراسة ما أدى إلى تفاقم الظاهرة و عجز الجهات المختصة أمامها.

أهمية الدراسة:

نظرا لما تحمله ظاهرة الأحياء الفوضوية من أهمية بالغة لها انعكاساتها على مختلف جوانب الحياة سواء الاجتماعية أو الاقتصادية و خاصة العمرانية و البيئية، جعلت منها سببا رئيسيا لتكون محل تسليط الأضواء، و جعلها أهم مواضيع الساعة التي تشغل اهتمام الباحثين و المهتمين بالمجال العمراني، الذين أرقهم مشكل الأحياء الفوضوية، المخلة بالجانب التخطيطي و النصوص القانونية التابعة له، بالإضافة إلى ما تخلفه من آثار تعكس الصورة السيئة للمدينة، ما يفقدها مكانتها السياحية و الاقتصادية كما تعطي الزائر طابع فضا عن ثقافة المنطقة .

أهداف الدراسة :

من جملة الأهداف المسطرة جراء هذه الدراسة نجد :

- تحديد مفهوم الظاهرة والتمييز بين مختلف الأشكال الحضرية الموجودة، سواء كانت مخططة أو جاءت نتيجة للممارسات الفوضوية للسكان.
- كشف الستار عن واقع الأحياء الفوضوية التي تشهدها معظم مدننا اليوم، و تقديم دراسة تحتوي على مختلف الأسباب و النتائج التي آلت إليها المدن جراء انتشار هذه الأحياء .
- الوصول في نهاية الدراسة إلى محاولة إيجاد بعض السبل لعلاج الظاهرة ومد يد العون للجهات المختصة بدراستها .

مراحل البحث: قصد الإلمام بالموضوع أكثر و التحكم فيه حرصنا على إتباع ثلاثة مراحل رئيسية نوجزها في :

مرحلة البحث المكتبي: عملنا خلالها على تجميع مختلف المراجع التي لها علاقة بالموضوع سواء كانت كتب أو رسائل جامعية أو مقالات أو تقارير أو مواقع إلكترونية، ومن ثم محاولة بناء خلفية علمية حول الموضوع من خلال الإطلاع على كل ما له علاقة به سواء من قريب أو بعيد ما مكننا من وضع الخطوط العريضة لهذا البحث و الحيثيات الواجب التعمق فيها .

مرحلة العمل الميداني : و هي أكثر المراحل صعوبة و أخذا للوقت و التي لجأنا إليها بهدف تجميع المادة العلمية التي تخدم البحث من خلال الاتصال بمختلف المصالح التقنية و الإدارية على مستوى مدينة بسكرة من بينها، بلدية بسكرة، مديرية التعمير و البناء و الهندسة المعمارية، مديرية السكن و التجهيزات العمومية، و مصلحة شرطة العمران، و التي حاولنا من خلالها الحصول على مختلف الإحصاءات و التقارير الإدارية و المخططات العمرانية التي تخدم إشكالية بحثنا، ثم التجأنا إلى المعاينة الميدانية و الوقوف على الوضعية الحقيقية للظاهرة في أرض الميدان بهدف إكمال المعطيات الناقصة و تشريح الظاهرة بعمق .

مرحلة التحرير و الكتابة : و هي آخر مرحلة في دراستنا هذه و التي قمنا من خلالها بحوصلة المعلومات و تمثيلها في مخططات و منحنيات و العمل على تحليلها وشرح حيثياتها ما ساهم في إنتاج ثلاثة فصول :

الفصل الأول : يحمل عنوان الأحياء الفوضوية بين المفهوم و التصنيف، حاولنا من خلاله تحديد مختلف معالم ظاهرة الأحياء الفوضوية من خلال حصر مختلف المفاهيم و التعاريف التي لها علاقة بموضوع الدراسة، حتى تسهل عملية فهم ما يتم طرحه لاحقا، إضافة إلى إدراج

مختلف الأسباب التي ساعدت على نشوء هذه الأحياء، و تمييز أصنافها، و الانعكاسات المترتبة عنها، و تحديد الإطار التشريعي المنظم لعمليات البناء و التعمير .

الفصل الثاني : تحت عنوان الأحياء الفوضوية ضمن النسيج العمراني لمدينة بسكرة، و قد تناول هذا الفصل تعريف بمدينة بسكرة بما يحتويه نسيجها العمراني من خصائص من خلال إلقاء نظرة على التاريخ الذي مرت به المدينة و ما صاحبه من تطورات مست النسيج العمراني و بالتالي خلق الأحياء الفوضوية و انتشارها في المدينة، و لتعمق في وضعية هذه الأحياء تم انتقاء عينتين للدراسة و الخروج بمختلف الانعكاسات التي تسببها هذه الأحياء على المدينة ككل .

الفصل الثالث : الذي يحمل عنوان حوصلة إختلالات الأحياء الفوضوية و إعادة الهيكلة، فمن خلال هذا الفصل حاولنا تجميع مختلف الاختلالات التي تعاني منها مدينة بسكرة نتيجة تواجد و انتشار عدة أحياء فوضوية ضمن نسيجها العمراني لتكون كانطلاقة لتحديد التوصيات اللازمة للرفع من مستوى الحياة الحضرية في المدينة، و محاولة معالجة البيئة العمرانية لعينات الدراسة و التدخل عليها بإعادة هيكلتها .